العاديّات المقلّدة

لا يجلس المرء ساعة في قهوة من قهاوي القاهرة حتى يمرّ بهِ عشرات من باعة العاديّات (الآثار القديمة) كالجعلان وقطع النقود وفصوص الخواتم واشباهها فيعرضوا عليهِ بضاعتهم لشتراها فيقلبها بين يديهِ وينقدها بعينيهِ نقدًا دقيقًا ويتردّد في شتراها طويلاً ليس لانهُ عرف غثّها من سمينها وميّز صحيحها من كاذبها اذ معرفة ذلك تنحصر في اشخاص قلائل زاولوا شراء الآثار القديمة وبيعها السنين الطوال بل لانهُ شاع واشتهر ان سوق تقليدها وتزويرها رائجة في كلّ مكان وان اعظم الخبيرين بها قد يخطئون التفريق بين القديم الصحيح والجديد المقلّد منها فضلاً عن الذين لا يلمون بشيء عنها

وقد اخطر هذا على بالنا ما قالهُ رجل من موظفي المتحف البريطاني من ان تقليد الآثار القديمة بلغ مبلغًا عظيمًا حتى صاروا يتفننونهُ في اقصر الاوقات . فكثرت الاشياء المقلدة في اوربا وانتشرت في كل جهاتها حتى بات الناس يشكّون في ما اذا كان هناك آثار قديمة حقيقيّة ودخل منها الشيءُ الكثير الى المتاحف الاوربية رغمًا عن نقد الناقدين وخبرة الخبيرين من موظفيها

وممّا أثار الخواطر في هذا الموضوع أمر التاج الذهبي الذي اشتراهُ متحف اللوفر في باريس منذ سنوات وعدّ من خيرة ما فيهِ من المعروضات والآثار القديمة فانهم يؤكدون الآن ان ذلك التاج ليس قديمًا بل ان صانعًا روسيًا ماهرًا صنعهُ لرجل غير معروف سنة ١٨٩٦ وادعى ذلك الرجل انهُ تاج الملك سايتفارنيس وقد اعترف الصانع بفعلتهِ

على ان الحقيقة لا تزال مكتومة مجهولة اذ ممّا يدعو الى الحيرة والريبة في امر ذلك التاج انهُ بيع لمتحف اللوفر بثلاث مئة جنيه وفيهِ من الذهب وحدهُ ما يساوي هذه القيمة . فلا يعلم ما وجه ربح صاحبهِ منهُ الاّ ان يكون فيلسوفًا اراد ان يعلّم الناس انهُ مهما بلغ مبلغ علمهم وادعائهم الكمال فلا يزال علمهم جهلاً وكمالهم نقصًا

وفي لندن وحدها الوف من الذين يعيشون من صنع الآثار التي يدعون انها قديمة وهي قد تكون بنت يومها . وما عليك الاّ ان توصيهم بصنع ما شئت فيأتوك بعد ايام قليلة بما أوصيت بهِ كأنما هو من عهد عاد . وفي هولندا كثيرون يقلدون عمل الآنية الفضية القديمة ويغيّرون هيئتها الخارجية بما يضيفون اليها من المواد الكيماوية حتى يخيّل للناظر اليها انها من

بقايا القرون المتوغلة في القدم . وفي اثينا معمل لتقليد الآثار القديمة لا يستطيع العارفون تمييز مصنوعاته من الآثار الحقيقية . وهم يبيعون التمثال الصغير فيه بمئتي جنيه او ثلاث مئة على حين انهم لا ينفقون على صنعه جزءاً من مئة مما يبيعونه به . ومما يتباهى رئيس المعمل به ان مصنوعات معمله موجودة في نصف متاحف اوربا العمومية ومجموعات الآثار الخصوصية

وفي فرنسا معمل لصنع قطع من الرخام يدعي صاحبها انها من آثار بومباي التي دمرها بركان يزوف في اواخر القرن الاول من التاريخ المسيحي وتباع القطعة منها بمئة جنيه او نحو ذلك وهي متقنة الصنع دقيقة التقليد حتى تخفى حقيقة امرها على اعظم الخبيرين

ومن الاشياء التي كثر تقليدها فصوص الخواتم التي نقشت عليها رؤوس اشخاص وصور طيور وحيوانات ورموز اخرى حتى انهُ يحكى ان رجلاً من اعيان الروس جمع مجموعة منها انفق عليها خمسة آلاف جنيه ولكن تبيّن لهُ بعد ذلك ان كثيراً منها مقلّد لا حقيقي . ولما اعيتهُ الحيلة في فرز المقلّد منها عن الحقيقي باعها كلها بجزء مما انفقهُ عليها فكانت صفقة خاسرة

وفي لندن ومنشستر قوم يصنعون قطع الاثاث ويدّعون انها قديمة كانت توضع في قاعات القصور الكبيرة في عهد الملكة اليصابات وانها حفظت الى هذا اليوم ويبرزون شهادات لتعزيز دعاويهم

واميركا غنية بهذه المقلدات وقد وصفها احد الذين يصنعون الكراسي على مثال الكراسي التي كانت تستعمل في القرن السادس عشر فقال " اننا نصنع الكراسي على المنوال المطلوب ثم نغمسها في سائل معلوم حتى يعلوها الصدأ وتظهر بالية ونرميها ببعض طلقات من بندقية محشوة بالخردق حتى يلوح للناظر اليها ان السوس نخرها لطول عهدها

ويقول بعض الخبيرين ان التحف التي ابتاعها المستر مورغان الغني الاميركي الشهير ودفع ثمنها نحو مليونين من الجنيهات اكثرها مقلّد وقد احكم صانعوها صنعها حتى خفي امرها عليهِ وعلى الذين يستعين بهم في نقد ما يشتريهِ

على ان اغرب ما وصل الينا من حوادث تزوير العاديات حادثة شابيرا المشهورة . وشابيرا هذا رجل اسرائيلي بولوني اعتنق الديانة المسيحية وسيم قسيساً وجاء سورية وقد رايناهُ فيها وعرفناهُ . وبيان خبره انهُ زار السر ولتر بزنت رئيس جمعية النقب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين يطلعهُ على كتاب قال عنهُ انهُ يدحض آراء علماء اللاهوت الحديثين كلهم ولم يشأ في بادىء الامر ان يبيح لهُ بسرّ اكتشافهِ ولكنهُ باح بهِ اخيراً بعد الحاح شديد وعلى وجههِ سيماء الاستياء كأنهُ اكره على افشاء السر اكراهاً . فقال ان الكتاب المذكور

نسخة من سفر تثنية الاشتراع مكتوبة على رق ثم اراد قسمًا منهُ وهو يقدم رجلاً ويؤخر اخرى مبالغة في التظاهر بالحذر والتحوُّط واذا بهِ مكتوب بالاحرف الفينيقيَّة التي وجدت على الحجر الموابي بحبر اسود جميل وكانت الكتابة واضحة جليَّة مع انهُ مرَّ عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواهُ . وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو ان الكتاب وجد محفوظًا في كهف جافٍّ من بلاد موآب . فالحرّ السر والتر بزنت عليهِ ان يعلن اكتشافهُ للعالم فتردَّد اولاً ثم رضي ان يطلع رجلين عليهِ وهما الدكتور جنسبرج من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كوندر الذي مسح القسم الغربي من فلسطين

فدعاهما السر ولتر بزنت الى منزلهِ في اليوم التالي فظن الدكتور جنسبرج ان الدعوة عمومية تشمل موظفي التحف البريطاني كلهم وعليهِ حضر هو وجميع موظفي التحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كوندر ايضًا فاطلعهم شابيرا على كتابهِ فدهشوا لذلك كثيرًا وقال احدهم ان الرقّ يشبه الرقّ الحديث في منظرهِ وهو يدلُّ على اتقان صناعتهِ في ايام موسى ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية " ان هذا الاكتشاف من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة ". وقال الكبتن كوندر " ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان . فان ما هو مذكور فيهِ من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تمامًا وموسى لا يذكر شيئًا عن موتهِ "

وكان في جملة المدعوين وليم سمبسون محرر جريدة " لندن نيوز المصورة " فلم يصدق دعوى شابيرا وكان يعرف جميع ما في بلاد موآب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة فقال للسر ولتر بزنت انهُ ليس في بلاد موآب كلها كهف جافٌّ ليحفظ فيهِ هذا السفر

وبينما كان العلماء يتداولون السفر وينقبون فيهِ ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنهُ جاء المسيو كلمان جانو من باريس لرؤيتهِ فقال " اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب فانهم قطعوا الرقّ الذي كتب عليهِ من حواشي الدروج العبرانية القديمة . اما الكتابة فكتابة امس "

واتضح لهم بعد طول البحث ان قول جانو صحيح فردَّ السفر الى شابيرا ولم يطلب احد شراءهُ منهُ . فجزع جزعًا شديدًا افضى بهِ الى ان شنق نفسهُ

وعجيب في امر المشغوفين بجمع العاديات انهم كثيرًا ما يكتشفون ان بين مجموعاتهم اشياء مقلدة ومزورة ولكنك تراهم غير مبالين بذلك كأن لم يكن شيء فقد عرفنا رجلاً اشترى اثرًا ظنهُ قديمًا ثم اتضح لهُ انهُ حديث فلم يقلل ذلك من قدر الاثر في عينيهِ بل ما زال يجلهُ ويكرمهُ ويضعهُ مع غيرهِ من الآثار القديمة كأنهُ واحد منها